والاكثر ألماً. وعلى الرغم من ان شخصيات الرواية عديدة، وقصصها كثيرة، الّا ان هذه الشخصيات متشابهة الى درجة كبيرة جداً، لأنه: «يوجد زمن واحد، ومكان واحد، وامكانية واحدة، للحياة. امكانية واحدة ووحيدة تعود على نفسها بصورة غير متناهية لا تضيف اليها شيئاً»(٢٠). والحل هو الحلم والهذيان؛ الحلم فقط بتغيير كل الوضع الخانق والراكد. وما ذلك الّا هرباً من المحاولة الحقيقية للتغيير. ولقد سبق ان رأينا ان التغيير الوحيد الذي مارسه غولدمان الابن كان فردياً جداً: انتحر لأنه رأى بالموت العملية الطبيعية المكمّلة للحياة الراكدة.

بالنسبة الى سيزار ويسرائيل وغولدمان، ليس ثمة ما آمنوا به، سوى ضغوط الاطار العائلي، الذي استطاعوا التعامل معه كحقيقة ملموسة في حياتهم. وعدا هذا الاطار الخانق، بدا كل شيء غير واضح كغبار. ورأينا ان المكان تداعى كالشخصيات الثلاث.

وخلص كلدرون الى النتيجة الهامة، وهي ان زيف الافكار والدوغمائية والابناء الثلاثة الذين لم يستطيعوا الامساك بشيء وظلوا عالقين في الوسط أدّت الى كارثة (صعود اليمين). و«ما يوجد هنا هو لقاء مع ' ارض اسرائيل الكاملة' في حالة اندحارها. ان الـ ١٠ ـ ١٥ سنة الاخيرة هي قصة تعرّي وانكشاف ذلك السقوط والاندحار»(٢١).

وبهذا الكتاب قدّم شبتاي صورة واضحة لفشل آراء وتصورات المؤسسين (الآباء) وصعود حزب اليمين الى سدة الحكم. وهذا ما كان!

«نهاية امر»

في رواية «نهاية امر»، اغلق شبتاي دائرة ابتدأت بـ «العم بيرتس يطير»، واكتملت برواية «نهاية امر». ولم يضع حداً لتجربة هذا الكاتب سوى الموت.

نلتقي، في رواية «نهاية امر»، بشخصية ظريفة مليئة بالسخرية هي شخصية المهندس مئير الذي «في سن الثانية والاربعين، بعد عيد العُرْش بقليل، هاجم مئير خوف الموت، وذلك بعد ان عرف ان الموت هو جزء واقعي من حياته...»(٢٢).

وحين عرف مئير بأنه مريض بضغط دم عال اصيب بخوف شديد وغمرته حالة اغتراب مع جسده. فهذا الجسد سيبدأ يحاصره لئلا يحصل على ملذّات العالم. ومع موت امه غير المتوقع أدّى به مرضه الى ان يعتقد بأنه، بموتها، تركت ثغرة، وانه هو المرشح، الآن، للموت: فالحماية التي كانت تمنحه اياها امّه ماتت مع موتها. المرض قاد مئير الى ان يتصرّف تصرفات جديدة، وادخله عالماً من الاسئلة والمخاوف العديدة.

ففي القسم الاول من الرواية، الذي يعتبر استمراراً لرواية «تذكار ما جرى» بحق، تجوّل مئير في مدينة تل ـ ابيب الاثيرة لديه باحساس من المرارة والظلم. ان الروتين اليومي الذي عاشه تحوّل الى عادة، خاصة حين انتقل بين البيت والشغل وزيارة صديقه بغزنر، والتوقف دائماً لزيارة امه، التي احتفظت له بوجبة طعام لذيذة. ونرى ان الشخصية الثانية المتكاملة، بعد مئير في الرواية، هي شخصية الام، فقد امتلكت حسّاً مبهماً من الغرابة في هذه الحياة.

وكان موت الام ومرضه بمثابة الصعقة غير المتوقعة لمئير. عندئذٍ، قرّر ان يخرج في رحلة ليستعيد حيويته، متجولاً، في البداية، في امستردام، ثمّ في لندن، ليصاب، في لندن، في احد المتاجر،